والنشوز أو انعدام الانسجام . وليس من شأن « الشر » أن يحدث فرقة وانقساماً فيما بين الضمائر المختلفة فحسب ، بل إن من شأنه أيضاً أن يحدث ضربا من « الانقسام » فى داخل الضمير الواحد نفسه . ومن هنا فإن هناك من ضروب الشر — كما قال بسكال — مالا نهاية له ، فى حين أن « الخير » يكاد يكون واحداً لا شريك له[1] ! حقا إن الضروب العديدة من « الشر » تشترك جميعا فى كونها تتسم بطابع الهدم والتحطيم والتمزيق والتقسيم ، ولكنها من الكثرة بحيث أنه يندر أن يظهر الواحد منها فى ساحة الشعور دون أن يكون مصحوبا بزمرة كبيرة من رفقائه المخلصين ! وليس أعجب من تلك الرابطة السحرية التى تجمع بين مختلف الشرور ، فإن أقل ثغرة يفتحها الضمير لأدنى واحد منها ، سرعان ما تتيح للباقين أن ينفذوا منها إلى أعماق النفس لكى يأخذوا بيد رفيقهم الهمام ! ولكن المهم أنه بمجرد ما يتسلل الشر إلى باطن الضمير ، فإنه سرعان ما يشيع فيه ضربا من الانقسام أو التمزيق الداخلى ، كما أنه بمجرد ما يندس الشر وسط الضمائر العديدة ، فإنه سرعان ما يحيل العلاقات القائمة بينها إلى صراع حاد يوجه فيه كل ضمير إلى غيره من الضمائر سهاما مسمومة وطعنات دامية[2] !

والواقع أن العلاقة وثيقة بين « الخير » والوحدة ، كما أن العلاقة وثيقة أيضا بين « الشر » والتعدد . أليس فى توزع الذهن شقاؤه ، فى حين أن التكامل النفسى هو مصدر كل سعادة ؟ ألا تظهرنا التجربة على أنه طالما كان الإنسان موزعا بين مشاغل عديدة ، مشتتا بين موضوعات كثيرة تتقاسم اهتمامه . فإنه قلما يشعر بالراحة النفسية ؟ ألم يقل فلاسفة الأخلاق من قديم الزمن إنه لا بد للضمير من الانصراف عن الجزئيات ، من أجل الاهتمام بالكل وحده ، لأن فى « الوحدة » سعادة النفس وراحة الضمير ؟ ألم يعرف بعضهم « الغبطة الروحية » بأنها حالة الامتلاء Plénitude التى تشعر فيها النفس بوحدتها وتكاملها وحضورها الكامل أمام نفسها[3] ؟ إذن فكيف لا يكون انقسام الذات على نفسها هو « الشر » نفسه بدمه ولحمه ؟ بل كيف

---

(1) Pascal : « **Pensées** » Texte de L. Brunschwicg, Fragmant No 403.

(2) L. Lavelle : « **Le Mal et La Souffrance** », **Plon, Paris 1940**, p. 53.

على الأقل تقديم عرض مبدئي

❀ ❀ ❀

المهمتان الكبيرتان للفلسفة

الفلسفة بوصفها تحليلا: أول نشاط فلسفي رئيسي هو التحليل أو النقد وفي هذا الدور يقوم المفكر بتحليل ما يمكن تسميته بأدواتنا العقلية: فيدرس طبيعة الفكر، وقوانين المنطق والاتساق، والعلاقات بين أفكارنا والواقع، وطبيعة الحقيقة، ومدى صلاحية مختلف المناهج التي نستخدمها في توصلنا إلى «الحقيقة» أو «المعرفة» (وهذا الموضوع الأخير ربما كان أهم الجميع). فهو يحلل مناهج العلم والدين والفن والحدس والموقف الطبيعي، ويبدي اهتماما كبيرا بأية وسيلة يستخدمها الناس لاكتساب المعرفة أو تنظيم تجربتهم، إذ أن الفيلسوف ربما كان أكثر الناس اهتماما بالبحث عن أفضل الطرق للوصول إلى اليقين. ومن بين الأعمال التي يهتم بها، اختبار المناهج العقلية في جميع الميادين لكي يرى ماذا يمكنه أن يتعلم منها، ولكنه أكثر من ذلك اهتماما بتقويم المناهج لذاتها. وهنا تقوم الفلسفة بدور الناقد الأعلى؛ إذ أنها تقوم باختبار دقيق لما تدعيه مختلف الفروع الأخرى من معرفة أو حقيقة، وذلك على أساس المناهج المستخدمة فيها واتساق النتائج التي تصل إليها، والعلاقة بين هذه النتاج وبين الأوجه الأخرى للتجربة البشرية.

على أن هذه المهمة النقدية التحليلية للفلسفة، كما سنرى في الفصول القادمة، لا يفهمها معظم الناس ولا يقدرونها إلا على نحو أقل بكثير من فهمهم وتقديرهم للمهمة الأخرى الأوسع منها شهرة للفلسفة، ألا وهي التركيب وهذا أمر يدعو إلى الأسف، لأن هذه الجهود التحليلية للفلسفة هي التي أصبحت تسود الميدان على نحو متزايد في السنوات الأخيرة، وفي ميدان التحليل هذا يبدو أن الفلاسفة يقومون اليوم بأعظم أعمالهم فائدة. فمعظم المنشورات الفلسفية التي تظهر على شكل كتب أو على شكل مقالات، هي في واقع الأمر دراسات نقدية، تهتم أساسا بمشكلة المعرفة ومناهجها. ولذلك فإن القارئ العام الذي لا يدرك هذه الحقيقة يشعر بالنفور وخيبة الأمل حين يحاول دراسة أوجه المعرفة هذه؛ إذ أنه بدلا من أن يجد إجابات لأسئلته المتعلقة بالحياة والكون، يصطدم بمناقشات شديدة التخصص حول مناهج العلم أو قوانين اللزوم أو مشكلة العلية. فقد كان التصور التقليدي للفلسفة هو أنها مصدر يقدم إجابات للأسئلة التي يمكن أن يوجهها أي شخص مولع بالتفكير، ولكن جهود الفلسفة في

الإشكالية من الدلالة اللغوية إلى الفهم الاصطلاحي

- معنى الاشكالية

إن طبيعة مجال الفكر إنما يقوم على أساس من الإشكال، ولا يمكن
ي بحث من البحوث أن يقوم إلا من خلال المُشكِل، فمجال البحث في
فكر، إنما يتمحور حول سؤال ما، أو إثارة مشكلة معينة، ثم السعي في
حاولة الإجابة عن هذا التساؤل أو تجاوز هذه المشكلة عبر إيجاد الحلول
مناسبة، وهذا ينطبق تمام الانطباق على الفلسفة، كونها قد بدأت
التساؤل، وواجهت مشكلات نتيجة محاولتها وضع أجوبة للأسئلة التي
طرحتها، فمثلا كان السؤال عن أصل الوجود، الإشكالية الأساسية التي
وسمت العصر الأول والتي أصطلح على تسمية فلاسفتها لاحقا، الفلاسفة
الطبيعيون.

الإشكالية من الناحية اللغوية مشتقة من الفعل "أشكل" تقول أشكل
عليه الأمر أي اختلط والتبس، والإشكال بمعنى الالتباس" ويطلق على ما
هو مشتبه ويقرر دون دليل كاف، ومن ثم يبقى موضع نظر"[1] والإشكالية
"سمة حكم أو قضية قد تكون صحيحة، (ربما تكون حقيقية)، لكن الذي

---

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، منشورات ذوي القربى، قم - إيران، ص379.

ليس ثمة مهرب من ضرورة اتخاذ قرارات أخلاقية على الدوام. وفى هذا المجال يكون الدور الأكبر للفيلسوف هو أن يجعل هذه القرارات عاقلة ومنطقية ومرضية بقدر الإمكان. وتشكل محاولة جعل هذه القرارات على هذا النحو موضوع «علم الأخلاق».

وهناك مشكلات أخرى عديدة تنتمى إلى أسرة الفلسفة الكبيرة، بعضها له من الأهمية ما يستحق معه أن نفرد له فصلا مستقلا فى الصفحات التى ستأتى فيما بعد. فسوف تقتضى مشكلة الحقيقة والمشكلات المعقدة المتعلقة بعلم الجمال اهتماما خاصا، ما دامت تنطوى على مشكلات تتعلق بالفلسفة ككل. ومع ذلك فالأفضل أن نرجئ أية إشارة إلى هذه المشكلات حتى نكون متأهبين تماما لبحث ما تنطوى عليه من صعوبات؛ إذ أن أى تقديم موجز لهذه المشكلات قد يبعث فى القارئ مزيدا من الحيرة، بدلا من أن يساعده على فهمها.

❁ ❁ ❁

هدف الفلسفة

لا بد أن يكون قد اتضح لنا الآن أن المهمة التى يأخذها الفيلسوف على عاتقه ليست مهمة هينة أو هدفا متواضعا. فالفيلسوف ــ كما أحسن أفلاطون التعبير عن مهمته ــ هو من يشاهد كل زمان وكل وجود. وهو إذ يتخذ من المعرفة كلها ميدانا له، ومن التجربة بأسرها مادة خاما لبحثه، يهدف إلى وضع مركب لا يخرج عنه أى وجه للوجود، أو أى جزء من الفكر، أو أية ذرة من الواقع. وعلى ذلك فكل شىء فى الكون داخل فى نطاق التجربة البشرية، يدخل أيضا فى نطاق الفلسفة. وكل ما يمر بنا، أو يؤثر فينا أو يترك أى أثر فى وعينا، يهم الفيلسوف. وهو لا يستطيع أن يقبل أى مثل أعلى أقل من تكوين صورة شاملة تامة التوحيد للواقع وهو يقصد بالواقع عادة مجموع التجربة كلها ــ من ماضية وحاضرة ومستقبلة، وفعلية وممكنة. فكل شىء، فى كل مكان، وحيثما حدث، هو وقود لآلة الفيلسوف الذهنية.

أما مسألة تحديد المدى الذى يستطيع الذهن البشرى أن يذهب إليه من أجل بلوغ مثل هذا المثل الأعلى الهائل، فلا بد لبحثنا من الانتظار حتى نعالجها فى الفصول القادمة. أما الآن فحسبنا أن نذكر أن لدى الفيلسوف شعوراً واضحاً كل الوضوح بأن مثل هذا المثل الأعلى لم يتحقق حتى الآن. وفضلا عن ذلك، فقد يكون من الأفضل الاعتراف صراحة بأن هناك مفكرين محدثين كثيرين يؤمنون باستحالة بلوغ هذا الهدف. فهناك جزء كبير من النشاط الفلسفى المعاصر، يتركز حول السؤال: ما هى قدرات الذهن، وما هى بالضبط حدود المعرفة البشرية؟